محددات و آليات التنشئة الأسرية

د/ دوداح علجية
قسم علم الاجتماع
جامعة أكلي محند أولحاج –البويرة–

ملخص :

تعمل التنشئة الأسرية وفق محددات اجتماعية مختلفة على إدماج عناصر ثقافة المجتمع في تشكيل شخصية الأفراد ،حيث تهدف لتلقينهم القيم و المعايير والعادات والتقاليد والأعراف التي يقرها المجتمع ، لتوجيه الأفراد وفق التصور العام للمجتمع سواء في أهدافه أو فلسفته، وهذا لا ينفي وجود الاختلاف في أساليب التنشئة الأسرية حسب ما سنتطرق إليه من محددات اجتماعية واقتصادية وثقافية، لأن هذا الاختلاف يعطي للأفراد القدرة على القيام بالدور الاجتماعي المحدد لهم، إذ تعمل كل ثقافة على تنميط أفرادها بطابعها الخاص، وبالتالي نجد الاختلاف بين الأفراد في نفس الثقافة كالاختلافات الموجودة بين أهل الريف و الحضر على سبيل المثال.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، التنشئة الاجتماعية، المحددات الاجتماعية، الدور الاجتماعي، القيم ، المعايير، العادات والتقاليد.

Family Socialization: determinants and mechanisms

Dr / Aldjia Doudah
Department of sociology ,
University Akli Mohand -Bouira

Abstract :

Socialization operates according to various social determinants allowing to integrate elements of the society's culture in the formation of individuals' personality in order to inculcate him values, norms, traditions and customs that are admitted by society in order to guide individuals towards perception of global finalities and philosophy of the society they live in.

And this, does not deny the existence of differences in the socialization methods, based on social economic and cultural determinants, however, this difference gives individuals the opportunity to play their social role allotted to them because every culture works so as to

mold its members with its proper cultural background. We then find differences between individuals in the same culture as those existing between rural and urban people.

Keywords: family- Socialization- Social determinants- Social role values- Norms- Traditions – Customs.

Les déterminants et les mécanismes de la socialisation familiale

Dr / Aldjia Doudah
Département de sociologie ,
Université Akli Mohand -Bouira

Résumé :

La Socialisation s'effectue en fonction de différents déterminants sociologiques permettant l'intégration des éléments de la culture de la société dans la formation de la personnalité de l'individu en vue de lui inculquer les valeurs, les normes, coutumes et traditions approuvées par la communauté, afin de guider les individus en fonction de la perception des objectifs et de la philosophie de la société.

Tout en ne niant pas l'existence de variation dans les styles d'éducation de la famille en fonction des déterminants sociaux, économiques et culturels , vu que cette différence donne aux individus la possibilité d'accomplir leur rôle social, chaque culture vise à faire assimiler ses spécificités à ses membres, on trouve des différences entre les individus appartenant à la même culture, celles existant par exemple entre les populations rurales et urbaines.

Les Mots clés : famille- La socialisation- déterminants sociaux- les valeurs- les normes- les coutumes- traditions.

مقدمة:

تعتبر الأسرة مؤسسة من المؤسسات التنشئة الاجتماعية ذات الأهمية البالغة ،فهي تعمل على تشكيل أولى خبرات الأفراد في بناء شخصيتهم ، وتكيفهم مع البيئات المختلفة وهي مرجعية هامة ودعامة أولى للضبط الاجتماعي لسلوكات الأفراد من خلال بالتنشئة الأسرية .

فالطفل يمر بمرحلة ينذمج فيها القيم والاتجاهات والمعايير والأدوار التي تشكل شخصيته

،وتؤدي إلى اندماجه في مجتمعه ،فالتنشئة الأسرية هي همزة وصل بين الثقافة والشخصية ،إذ هي عملية إدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تكوينه و توريثه إياه توريثا معتمدا بتعليمه النماذج السلوكية المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه ،وتدريبه على طرق التفكير السائدة فيه.

ويمكن أن نستخلص من هذه المفاهيم أن التنشئة الأسرية هي عملية تطبع الفرد بقيم مجتمعه وتخص كافة المحادات التي تؤثر في عملية التنشئة الأسرية التي يتلقاها الفرد من الأسرة ،والمحيط الثقافي الذي يعيش فيه وهذا ما سنتطرق إليه في هذا المقال .

محدّدات التنشئة الأسرية :

دور الأم في التنشئة الأسرية : تعتبر الأم المصدر العاطفي لأبنائها وهي المحدد الرئيسي في عملية التنشئة الأسرية ، فارتباط الطفل بأمه يكون جيدا إذا تعاملت معه بطريقة ملائمة من خلال إقامة علاقة أساسها التقبل ولبت حاجاته المادية والعاطفية" (**محمود، حسن (1981)**. **ص88**).

هذا التفاعل يتطور مع نمو الوليد العقلي والجسدي والاجتماعي وهذا يجعل العلاقة بين الوليد والأم أول تفاعل اجتماعي يشارك فيه الطفل والأسرة بما فيها الأب والأم تلعب الدور الرئيسي في عملية التنشئة الاجتماعية خاصة في السنوات الأولى من حياة الطفل ،فحسن العلاقة بين الطفل وأمه لها أهمية كبيرة في نمو شخصيته وخاصة في انتظام ظهور الاستجابة الانفعالية، بالتالي تقدم نموه الجسمي والعقلي ،والأمومة الناجحة تتخلص في أنها عاطفة وطريقة ومبدأ ، فالأمومة عاطفة لأن من أهم مقومات الأمومة الناجحة في توفير الحب للصغير، فحاجة الصغير للحب لا تقل أهمية على حاجته للطعام و الشراب وأن الكثير من مشكلات السلوك التي يبديها الطفل في

مستقبل حياته ترجع إلى حرمانه من الحب و هو لا يزال في المهد دون تفريط أو إفراط حيث أن تفريط الأم في حرمان أبنها من حبها يترتب عليه أضرارا لا يستهان بها وتعوق تكامل شخصية وسلامة صحته النفسية ،وقد كشفت دراسة "**بولبي**" أن السلوك الجانح للطفل له علاقة كبيرة بابتعاد عن أمه مدة كبيرة في السنوات الخمس الأولى من حياته(**الشربيني، زكريا،وآخرون (2000)، ص57**)

كما ان إفراطها في حب طفلها وتدليله يمثل خطرا على صحته النفسية ،يعرضه لازدواجية المشاعر فإلى جانب مشاعر الأمومة قد توجد العديد من المشاعر السلبية التي تؤثر على تقبل الأم لطفلها ،فغياب الأم عدة ساعات يوميا يحدث له اكتئابا يفقده ثقته في نفسه ويمنعه من تكوين علاقات اجتماعية ويدفعه إلى العدوان و كثرة الثورات الانفعالية ،لأن الطفل غالبا ما يلجأ إلى أمه أكثر من أبيه طالبا منها المساعدة نظرا لوجودها المستمر إلى جانبه ومن ثم تكون رابطة الطفل بأمه أقوى من رابطته بأبيه لأن الأم عموما أكثر تسامحا و تفهما من الأب لسلوك الطفل المزعج.

–دورالأب في التنشئة الأسرية : يعتبر الأب المحدد الثاني في تنشئة الأبناء فهو يمثل السلطة و الحماية التي يمارسها على أبنائه في اتجاه تحديد السلوك المقبول والمرفوض .ويتحول دور الأب إلى مرجع بالنسبة لسلوك أبنائه ،حيث أنهم يقتدون به ويحذون حذوه بشكل مباشر أو غير مباشر ،وغيابه يترك أثرا بالغا في تربية أبنائه بحيث تختل مرجعيتهم و ينعكس سلبا على سلوكهم و يجنحون نحو الانحراف و الإجرام (**مكي عباس، محمود (2007)، ص134**)

في هذا السياق يقول "**لاكان**" أحد علماء التحليل النفسي أن الأب ليس مقتصرا على حضوره يخلق طرفا ثالثا في العلاقة الثنائية التي تربط الأم بطفلها فيصبح مرجعا للطفل ،و يمهد للدخول في المرحلة الأوديبية والتقمص اللاشعوري بالأب (**الفقي، حامد (1983)، ص 312**)، فيتعلم الصغير عن أبيه أنماط السلوك الاجتماعي المناسبة لجنسه والتي تميز الذكور عن الإناث فالطفل الذكر يقلد الأب بطريقة شعورية أحيانا ولا شعورية أحيانا أخرى فيتعلم بذلك أنماط السلوك التي يعتبرها المجتمع مناسبة ومميزة للذكور في أفراده ،ولذلك فهو يثبت هذا السلوك ويعاقب أو يعوق أنماط السلوك المميزة للإناث .

من هنا فإن دورة الأبوة لا يقل أهمية عن دور الأمومة في تنشئة الطفل وإن كان هذا الدور غير واضح في الفترة المبكرة من حياة الطفل حيث تقع المسؤولية كاملة على الأم ،إلا أن دور الأب في هذه الفترة لا يمكن تجاهله أيضا ،والأبوة الناجحة لا تقاس

بعدد الساعات التي يقضيها الأب مع طفله أو بتوفير الحاجات الضرورية للطفل ،بل على مقدار ما يمنحه الأب لطفله من حب ومدى عنايته به وطبيعة علاقته بهذا الابن والتي تتسم بالمودة والمحبة دون تركيز فقط على إشباع الحاجات البيولوجية للطفل.

فالاتصال النفسي الدائم بين الطفل والأب أمر ضروري وهام إذ عن طريق هذا الاتصال يحس الطفل ويشعر بمدى اهتمام الأب به ورعايته والعناية به لأن دور الوالد يختلف عن دور الأم إلى حد ما ولا تستطيع الأم أن تعوض الطفل النقص الذي ينشأ عن غياب الأب أو عدم العناية الإشراف على الأبناء ،فغياب النموذج الذكري المتمثل في الأب يؤثر في عملية التطبيع الجنسي للطفل الذكر،خاصة عندما يكون غيابه قبل أن يصل الطفل سن المراهقة في علاقتهن بالذكور(**أبو النيل،محمود(1988)، ص 48**) وإذا كان الأب يمثل السلطة في المنزل فإن الأبوة المستنيرة تدرك إدراكا حقيقيا أن هذه السلطة لا تعني الحرمان والقسوة أو القمع لكل رغبات ونزعات الطفل ،بل تعني و بدرجة كبيرة التنظيم والتوجيه الذي يحتاجه كل طفل ويساعد بشكل كبير على الإدراك الحقيقي لذاته ،وفهم إمكانياته وقدراته.

وعليه يمكن القول أن نوع العلاقة التي تنشأ بين الوالدين لطفلهما عامل هام يدخل في تشكيل شخصية الطفل فهناك فرق بين شخصية الابن التي نشأت في التدليل والعطف الزائد والحنان المفرط وشخصية أخرى نشأت في جو من الصرامة والنظام الدقيق الذي يتصف بنوع من القسوة .

فإذا ما نشأ الابن في جو مشبع بالحب والثقة يستطيع أن يحب غيره ويثق فيهم على عكس الابن الذي نشأ في جو يسوده الحرمان من الحب ويتولد لديه الشعور بالرفض والأنانية والعدوان ولا يستطيع أن يثق في غيره.

فالطفل في حاجة إلى أن يكون محبوبا مقبولا مرغوبا فيه من قبل الوالدين ومن الآخرين ،ومن الأمهات والآباء من ينبذون أطفالهم نبذا صريحا بالقول أو بالعمل ، ويؤدي ذلك إلى فقدان الطفل الشعور بالأمن ويكاد يجمع علماء النفس على أن تقبل الوالدين للطفل يؤدي إلى النمو السليم وأن نبذ الوالدين يؤدي إلى سوء توافقه.

المستوى التعليمي والثقافي للوالدين: يؤثر المستوى الثقافي والتعليمي للوالدين على مدى إدراكهما لحاجات أبنائهم و كيفية إشباعهما،والأساليب التربوية التي ينبغي التعامل بها في إشباع حاجات أبنائهما ،كما يؤثر في مدى إقبال الوالدين على الاستعانة بالجهات المتخصصة في تربية الطفل كذلك يؤثر المستوى التعليمي والثقافي للأسرة على درجة متكافئة تعليميا أدى ذلك إلى استخدام أساليب سوية في التنشئة المتبعة مع الطفل مثل أسلوب الحرية والديمقراطية في المعاملة واحترام شخصية الطفل في المنزل والعمل على تنمية هذه الشخصية ،وتوفير كل المعلومات التي يريدها الطفل ،كذلك استخدام الأسلوب الذي يحقق الأمن النفسي والاجتماعي الذي يقوم على عناصر الحب والقبول والاستقرار مع ثبوت نوعية التعامل وعدم الذبذبة التي تؤدي إلى الشك (**شكري،علياء(1987)، ص26**)، فالتنشئة الأسرية تتأثر بالمستوى التعليمي بشكل كبير سواء كان ذلك على مستوى الفرد و الأسرة والمجتمع بشكل عام.

المستوى الاقتصادي للوالدين:تختلف أساليب التنشئة في كل طبقة ومستوى اجتماعي واقتصادي عن الأساليب المتبعة في أي مستوى آخر ولقد بينت العديد من الدراسات أن هناك فروقا بين طبقة و أخرى وبين أسرة وأسرة في المجتمع الواحد،فنجد أن الأسرة ذات المستوى الاقتصادي المرتفع تتطلع لأن يحصل أبنائها على مراكز اجتماعية عالية،ولهذا يعاملون أبنائهم بذكاء يكفي لتفادي المشاكل السلوكية التي يتعرض لها الأطفال،ويوفرون الوقت للاهتمام بتنمية قدراتهم فتكون النتيجة أن يصل الفرد إلى درجة كبيرة من النضج المبكر والتحرر والاستقلال،أما أسر المستوى الاقتصادي المتوسط فتتميز بمعاملة طيبة لأبنائها ونظام رقابة خال من الصرامة ويستخدمون العقاب النفسي الذي يعتمد على التأنيب وهذا قد يولد بعض المشكلات النفسية و السلوكية للطفل كالعداء والعدوان (**الجوهري، محمد و آخرون (1992)، ص123**) .

فالوضع الاقتصادي يشكل محورا هاما في التنشئة الأسرية ،ففي بعض البلدان العربية و خاصة الفقيرة منها يعجز كثير من الآباء اقتصاديا عن الاستمرار في تعليم أبنائهم ،ومن ثم يلقون بهم صغارا في سوق العمل،حتى يحققوا بعض المكاسب المادية البسيطة التي تساعد في نفقات الأسرة،و من هنا تنشأ عمالة الطفل،و مرجعها الأساسي هو سؤ الوضع الاقتصادي للأسرة.

المرجعية التنشئوية للوالدين: تؤثر المرجعية التنشئوية للوالدين في تنشئة أبنائهم بناءا على الطريقة التي تربوا عليها هم عندما كانوا صغارا ،فاتجاهاتهم في تنشئة أبنائهم تتأثر بالطريقة التي عملوا بها الوالدين من قبل آبائهم ،فأنماط سلوك الآباء تنتقل إلى أبنائهم و من ثم إلى أبناء الأبناء و يتم هذا بالصيرورة التربوية اجتماعية و ثقافية من الأسرة إلى المجتمع عبر أجيال متعاقبة ،لذا فإن تصورات و اتجاهات التفاعل بين الآباء و الأبناء تكون وفق هذه المرجعية التي توّرث من جيل إلى جيل آخر من خلال الوسط الثقافي و الاجتماعي للأسرة.

العلاقات الأسرية: تؤثر نوعية العلاقات الأسرية بين الأفراد في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل،حيث تماسك الأسرة فيما بين أفرادها يخلق جوا يساعد على نمو شخصية متكاملة و متزنة للطفل.

كما أن القيم التي تسود هده العلاقات تؤثر على مدى استقرار الأسرة وثبات أساليبها التنشئوية على منهج وتصور واحد غير مضطرب وهذا يصب كله في مصلحة الأبناء بخلاف التفكك في العلاقات الأسرية يؤدي إلى اختلال في تصور المنهج التربوي الذي على أساسه يتم إرساء قواعد التنشئة الأسرية للأبناء ،مما يشكل خطر على مستقبل الأسرة والمجتمع معا فالعلاقة الأسرية تعد ركيزة أساسية ومحورا هام في عملية التنشئة الأسرية للطفل ، فكلما ساد جو التفاهم والتكافؤ الثقافي ،انعكس ذلك على إيجابا تنشئة الأبناء.

تلعب الروابط الوالدية دورا كبيرا في تكوين شخصية الأبناء،فتعاون الوالدين واتفاقهما والاحتفاظ بكيان الأسرة يوجد جوا هادئا ينشأ فيه الطفل متزنا ،وهذا الاتزان العائلي يترتب عليه غالبا إعطاء الطفل في نفسه وثقة بالآخرين الذين يتعامل معهم.

يمكن القول أنه كلما قلت الاختلافات الوالدية ،زاد في العادة احتمال صلاحية الجو العائلي بتربية الأطفال تربية صالحة،وتوافق الوالدين أو اختلافهما يتوقف إلى حد كبير على عوامل قد تكون ظاهرة و كثيرا ما تكون خافية على الوالدين نفسهما .فلاختلافات الوالدية تضعف ثقة الطفل بوالديه إلى جانب أنها تعطي للطفل فكرة سيئة عن الحياة الزوجية و الطمأنينة في البيت،مما يبدو أثره ضارا في مستقبل حياته (**الكتابي، المنتصر (2000)، ص 49**).

من خلال ماسبق سنقدم بعض الاقتراحات التالية :

- ضرورة وجود حوار تفاعلي بين الوالدين و الأبناء.
- قيام الوالدين بدورهما التربوي السليم تجاه أبنائهما.
- العمل على تحفيز وتشجيع الأبناء على السلوكيات الايجابية التي يقومون بها.
- تعليم الوالدين أبنائهما بالأمور التي أتى بها ديننا الحنيف فيما يخص طريقة التعامل والتصرف تجاه أنفسهم وتجاههما و تجاه الآخرين .
- ضرورة الابتعاد عن كل الخلافات التي تؤدي صراعات أسرية.

خاتمة :

تتطلب عملية التنشئة السرية مرونة من الفرد وديناميةأثناء عملية التفاعل مع أعضاء الجماعة ،فيتأثر بهم ويؤثر فيهم فتتشكل بذلك شخصيته فالهدف من هذه العملية هو تشكيل عادات الفرد وقيمه الاجتماعية والفكرية ومعتقدات دينية ،واتجاهاته الفكرية ونظرته للحياة يندرج في هذا السياق اتجاهين: تطبيع الفرد وفق الإطار الثقافي العام حتى يصلوا في النهاية إلى اكتساب الطابع الثقافي المشترك أو ما يعرف باسم " الشخصية القومية " توجيه نمو الأفراد داخل إطار الثقافة الفرعية التي ينتموا إليها، يهدف هذا إلى غرس الهوية في الفرد ،أي تحقيق الهوية النفسية الاجتماعية ،فالطفل يتعلم قيما سلوكيا، واتجاهات ايجابية ،وفقا للأسس تربوية سليمة تتم بوساطة مؤسسات المجتمع كافة، بدءا من الأسرة وانتهاء بالمجتمع الكبير بجميع مؤسساته.

قائمة المراجع :

1- حسن، محمود (1981).**الأسرة ومشكلاتها** ، بيروت:دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

2- شكري ، علياء (1987).**الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة** ،الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية.

3- محمود مكي، عباس (2007). **دينامية الأسرة في عصر العولمة**، بيروت :مؤسسة مجد،ط1 .

4- الجوهري ، محمد وآخرون (1992).**دراسات في الانتربولوجية الاجتماعية،الطفل و التنشئة الاجتماعية**، الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية.

5- الشربيني زكريا، صادق يسري (2000). **تنشئة الطفل و سبل الوالدين في معاملته و مواجهة مشكلاته**، القاهرة: دار الفكر العربي

6- المنتصر الكتابي ، فاطمة (2000).**الاتجاهات الو الدية في التنشئة الاجتماعية و علاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال** ،عمان :دار الشروق.